

بأكليل من الذهب عنوقاً على احترامه له وتذكراً لزيارته قبره . وفي غضون تلك  
 المدة جرى لي حديث مع احد افاضل الافرنج فقال لو كان قبر صلاح الدين في بلادنا  
 لصنع بالاحجار الكريمة وقيمت له التماثيل والمياكل وبنيت على اسمه . المعابد والمدارس  
 وسمت به الشوارع والساحات . قتلت له ان الاسلام لا يسمح باقامة القبور على هذا  
 النحو ولا يبيع وضع التماثيل والنصب للاحياء ولا للاموات ولكن احباب صلاح الدين  
 يقتعون ولو بالمحافظة على قبره بسيطاً غير مزخرف ثم سردت عليه ما كان ينوي به  
 القائمون على ضريحه من تعفية اثره عرضاً او عمداً فأخذ منه العجب

هذا ما وصل اليه العلم القاصر من حال الاوقاف العامة والخاصة وقد حذت الدولة  
 العلية حذو الممالك المتعدنة في ضبط الاوقاف على امل تميمها . واللاوقاف بمصر طريفة  
 حسنة فان نظارتها تعدد باصلاح الاوقاف الالهية من خزانها ثم ترجع الى العقار  
 تستوفي ما اسلفتها اياه من ايراده على ان الخراب لم يبرح منتشرأ في معظم العقارات  
 الموقوفة على اختلاف ضروبها . واذا كانت الاوقاف احدى علل التقهر في المشرق  
 كان على الباحثين في علم الاجتماع ان يفيضوا في هذا البحث والمريض اذا برحت  
 به العلة يتوقع من طبيبه شفاه عاجلاً او آجلاً والام اذا انزل بها الهرم يبحث أسانها في  
 علله وكذلك يفعلون

بجاث دمشق

## ظاهر العمر

(تابع ما قبله)

كان بين عثمان باشا والي الشام وبين علي بك والي مصر منافرة واحقاد ناهيك ان علياً  
 لما رست قدمه في مصر حدثته نوسة بالتوسع حتى بغداد وكان يتحين النرص لذلك فارسل  
 ظاهر العمر اليه بالهدايا واستنجدته على والي الشام ووعده انه اذا ظفروا به كان ظاهر برجاله في  
 خدمة علي بك كيف شاء

وكانت الدولة العلية في ايان ذلك تحارب الدولة الروسية لعهد القيصرية كاترينا فراسلها  
 علي بك وجبب اليها ارسال بضعة سنن من اسطولها مشحونة بالرجال وهو يمكنهم من  
 الاستيلاء على النغور الشامية

فلما جاءت رسالة الشيخ ظاهر سر بها جداً وللحال جيز عشرة آلاف فارس وعقد عليه  
 لاسماعيل بك الكبير واردفه بسنة امراء من استاجق وجعلهم تحت امرته وامر الجميع ان  
 يطيعوا الشيخ ظاهر واكثر جيشه من المؤمن والدخيرة فخرجوا واتوا غزوة وكان عثمان باشا والي  
 الشام في القدس يجمع اموالها فارسل بأسفهم عن خبرهم فلم يجيبوه بشيء فاجس منهم شراً  
 وارتحل الى دمشق اما الشيخ ظاهر فارسل اولاده للقائه الغزاة فساروا بهم في موكب جليل  
 الى عكا حيث التقاهم ظاهر بالاعزاز والاكرام

واما عثمان باشا فانه تجهز بعد رجوعه للذهاب الى الحج الشريف حتى اذا دنا وقت ذهابه  
 برزت العساكر المصرية وجماعة ظاهر العمر من عكا وعدتهم جميعاً نحو عشرين الفاً  
 وقصدوا المزيريب

وكان اسماعيل بك قد رأى من خشونة اولاد ظاهر العمر ما ساءه فتلكأ عن اتمام العمل  
 المعبود اليه من علي بك حتى اذا سأل ظاهر ان يقصد دمشق ابي وقال لا يجوز ان نقاتل  
 زوار بيت الله وانما نرسل الى عثمان باشا ان يهز لنا بسكره لانه هو المطلوب فلما راسلوه  
 اجابهم اني عازم على الحج ولست لا تأخر عن ذلك فان كنتم تريدون حرب رجال الله فقد  
 استعنا عليكم به فاجاب اسماعيل حاشا لله ان نقاتل زوار بيته ونقع تحت غضبه فلما رآه  
 ظاهر استاعه لوى الاعنة وعاد ادراجهُ صوب يافا وفي اثرو المسكر المصري وكتب بما وقع  
 لعلي بك شاكياً ما فعله قائد عسكره وملكاً استبداله فاستاء علي بك من ذلك وجوز فريقاً  
 آخر من جنده وعقد اللواء على البعثة لرجله المشهور محمد بك ابي الذهب وسيره في بدء  
 سنة ١١٨٤ فلما وصل الى غزوة التقاه اسماعيل بك ومن معه من السناجق والشيخ ظاهر وحلفاؤه  
 من المتأولة وغيرهم حتى بلغ عدد الجيش ستين الفاً او يزيدون فزحف ابو الذهب بهم صوب  
 دمشق وقد عاد واليها من الحج وعلم بمسير ابي الذهب اليه فارتاع ولكنه تجاد وبأشر الابهة  
 لدفع الطارئة حتى اذا جاءت العساكر ونزلت بداريا الكبرى من ارباض دمشق برزت للقائه  
 الجنود الشامية وبينهم عبد الرحمن باشا والي حلب وخليل باشا والي كفس ومحمد باشا والي  
 طرابلس الذين امرتهم الدولة العلية بنجدة عثمان باشا وذلك ان عثمان باشا لما علم بما كان من  
 بعثة علي بك ومراسلته بعض اعيان الشام في طلب تسليم البلد اليه كتب الى باب الدولة  
 فصدر امرها لولادة المذكورين بمساعدته

فلما تلاقى الجيشان في سهل داريا اتقما ساعة فانكسر العسكر الشامي وفر كل من خليل  
 باشا وعبد الرحمن باشا حارباً بيسكره بعد ان قُتل منهم شرذمة ولكن ثبت عثمان باشا وابنه

محمد باشا والي طرابلس ودام فتاحنا بالعسكر الشامي والطرابلسي ثلاثة ايام الا ان كثرة العدو غلبت شجاعتهما فهربا لا يلبوا على شنيء فاحاطت المساكن المصرية واحلافها بدشق ثم بعث اليهم ابو الذهب بكتاب كان معه من علي بك يستدعيهم فيه للتخلف عن عثمان باشا لظلمه وخشوه ويسألهم التسليم فلما وصلهم الكتاب خرج بعض الاعيان الى ابي الذهب فدعاهم الى تسليم المدينة وتوعدهم ان هم تمنعوا بالاستيلاء عليها عنوة وحرقها واسر اهاليها فاستجلبوه الى اليوم التالي وفي تلك الليلة فر عثمان باشا وابنه مع كثير من الاعيان والجند حتى خلت دمشق من الحامية وارتاع الاهلون لذلك وازدحموا في الجامع الاموي حيث كان قد اجتمع اهل القري المجاورة بهم وهاج الاهلون وماجروا اذ خافوا على انفسهم وما يملكون وسألوا العلماء والاعيان ان يسلموا المدينة فسلموا بان خرج منهم نفر الى ابي الذهب وسألوه الامان فدخل المدينة وجلس في دار الوزارة

وبعد ايام كتب ابو الذهب الى اهل دمشق يقول انا جئنا الشام في طلب عثمان باشا فلو خرج الينا لما مستناكم بسوء ثم ظنناه في القلعة فلما تحققنا انه ليس فيها وليس لنا بمضرتكم ارب لاسيا وان المدينة لمولانا السلطان فرغنا القتال عنكم فادعوا لمولانا السلطان واذكرونا بالخير ثم رحل عن دمشق ورحلت على اثره عساكر ظاهر العمر واحلافه وفي صدورهم على فلة ابي الذهب حزازات ودخل ابو الذهب مصر واعتذر الى علي بك عن عودته بشكاسة اخلاق ظاهر وعشيرته وقال انهم قوم لا يعرفون الوفاء ولا يشكرون الجميل وانهم كانوا كلما ظفروا منا يرحل قتلوه واخذوا اسلابه فغضبنا العطب ورأينا انا قد فرنا بطرد عثمان واخرجناه من الشام فوجئنا ادراجنا فلما سمع الامير على ذلك كاد يتحيز من الغيظ فكتب الى الشيخ ظاهر بولمة فاجابه بتكذيب مقال ابي الذهب وسأله ان يامر باستكتاب اسماء القتلى من عسكره ليري في الامر وقال له ان ابا الذهب تيسر له امتلاك البلاد غنيمه باردة ولكنه دان رأبي اسماعيل بك في عدم الخروج على السلطان لان في ذلك ماسا بالدين وان ابا الذهب تمنع في بادية الامر عن قبول هذا الكلام من اسماعيل بك ولكنه عاد فاقنع اذ ان امين الصرة ساعد على اقتناعه ووعدته ان عاد ادراجه بالحصول على رضا الدولة والانعام عليه باحدى ولاياتها وقال له انه مرسل ابنة عثمان رهنا على صدق كلامه فان وجد في مقال ابي الذهب ذرة من الصدق قدم ابني مباح له واحتمال ظاهر على ابني فحمله على الذهاب الى مصر وهو لا يدري بما كتب ابوه فلما وصل جواب ظاهر الى علي بك فخص القضية فعاد صدق مقال ظاهر العمر فرفعت الشيخاه يئنه وبين ابي الذهب وفر هذا من وجهه الى الصعيد فالتفت عليه جمهور

من اصحابه فارسل علي بك اليه عسكرياً مع اسماعيل بك فانجاز اليه وكان عثمان باشا قد رجع الى دمشق وجمع عسكرياً جراراً وبرز الى الحولة يريد غزو ظاهر العمر والمناولة فلما علموا جمعوا رجالهم وبيتوا الباشا فافاق رجاله الا والاعداء محيطة بهم من كل جانب وقد الطوم بضرب السيف والنار فذعروا وتشتتوا وولوا الادبار والقرم بضربون في اقبنتهم تحت حنج الليل حتى بانوا شاطيء البحرية فالتى كثيرون منهم انفسهم في الماء نجاة من المية ففروا اليها وفر عثمان باشا بنفر من رجاله ففتم الظافرون اسلابهم وعادوا فكتب ظاهر بذلك مبشراً علي بك الا ان هذا كان قد راعه انضمام بعثته الى ابي الذهب واخبار زحفه عليه بين اجمع اليه ففرج من مصر حارباً بسرية من فرسانه وما عنده من الاموال والذخائر قاصداً حتى ظاهر العمر مستصحباً معه الشيخ عثمان الظاهر فلما بلغ الديار الشامية التقاه ظاهر بالجملة والاكرام وذهب به الى عكا فكتب منها الى الدولة الروسية يطلب المدد البحري الذي كان قد سألته من قبل وتعهد بتسليمها الثغور من مصر الى صيدا فستطيع حينئذ ان غدت فتوحاتها ما شاءت واقتدرت فوافقه ظاهر العمر على هذا الطلب والوعد

وكان علي ولاية صيدا ابن آخر لميثان باشا اسمه درويش باشا فهذا كان جياناً وقد راعه قرب المناولة منه ففر من صيدا الى دمشق وحاول الامير يوسف الشهابي ان يشدد عزائمها فما استطاع ولذلك طمع المناولة فيه وفي بلاد الشوف ومرج عيون والحولة فاستاء الامير يوسف وتجهز عليهم بعشرين الفا من المقاتلة فاكتسح بلادهم واحرق منها حتى جباغ حيث ورده كتاب منهم عن يد ابن ظاهر يسألونه الصلح ويتمدون بالبقاء على خاطرهم فلما استشار الذين معه في ذلك اشار عليه عبد السلام العماد بحريهم وانما قصد ذلك لينكسر الامير يوسف ويعود خائباً فتعلم منزلة مديقه الامير منصور فلم الامير يوسف لرأيه فكتب عبد السلام الى المناولة يشدد عزائمهم ويعدم بالانهزام فكان كما قال وارتنه الامير يوسف منكسراً وخرج الدوروالذين كانوا على خفارة صيدا فارسل اليها ظاهر العمر مستصحباً من قبله كان رئيساً للفرابة الذين في خدمته يقال له احمد اغا الدركري

وتوفي عثمان باشا والي الشام وخلفه على الولاية عثمان باشا المصري الذي كان مراد الماكر في عرب استان وتجهز للاغارة على المناولة وكتب بذلك الى الامير يوسف الشهابي وزحف بجيش عدته عشرون الفا فيهم احمد بك الجزائر الذي نال بعد ذلك الشهرة الدائمة في سوريا وبلغوا صيدا وحصروها حتى ضايقوا حاميتها وكاد احمد اغا يسلمها لولم يكن قد تراجع اكثر عسكر الامير يوسف الى بلاده وجاء الخبر عجيء السفن الروسية الى عكا وكانت خمسة

من الطرز الكبير المسمى يومئذ غليون بصحبها قطع عدة من صغيرات الحجم فاعزز اليها ظاهر العمر ان تنقل الى صيداء فلما وصلتها شرعت تضرب القنابل على عنكر الامير يوسف فرحلوا عن مواقيهم الى حارة صيداء وفي خلال ذلك كتب ظاهر العمر الى الامير ان يقوم الى جسر صيداء للاجتماع والاتفاق والآن فهو آت اليه فلم يرض بذلك فنهضت عساكر ظاهر ومن جاء مع علي بك من مصر حتى بلغت ضواحي صيداء وهناك وقع القتال فاسفر عن انكسار عسكر الوالي والامير يوسف وانهمزاهم واما السفن الروسية فانها ذهبت من صيداء الى بيروت وفتحها وظلت في مياها حتى اذاها الامير يوسف مالا عنها وكتب الى والي الشام فارسل الى محافظ بيروت نائبة محمد اغا ومعه احمد بك الجزائر وبعض المغاربة

ثم وقع الخلاف بين الامير يوسف والجزائر على امتلاك بيروت الامير فاتفق يوسف مع عميد الامير منصور وكتب الامير منصور الى ظاهر العمر يسأله استحضار السفن الروسية لاستخلاص بيروت من يد الجزائر فاجابه ظاهر الى ذلك وامتنع السفن المذكورة فجاءت واتفقت مع الاميرين على ثلثة الف درهم واسترهنه لوفاتها الامير موسى بن الامير منصور واطلقت السفن النار على المدينة حتى تضايق الجزائر فطلب التسليم عن يد ظاهر العمر ايضا فارسل ظاهر رجلا من اخصائه يقال له يعقوب الصيقل يجهز بالجزائر الى عكاة واقام هذا بها ايلما حتى سخط له الفرصة فسرق بعض بنغال للشيخ ظاهر وفر بها هاربا بل قيل ان ظاهرا ارسله لجباية الاموال السلطانية بجمع منها شيئا وفر

هذه زبدة رواية الامير حيدر الشهابي في تاريخه الا انا رأينا في تضاعيفها مواضع تحتاج الى التخصيص منها تاريخه بدء تحالف ظاهر العمر وعلي بك سنة ١١٨٣ والعهد بالامارة على الجيش المصري لابي الذهب سنة ١١٨٣ مع ان المرادي يذكر زحف ابي الذهب سنة ١١٨٥ ورواقه على ذلك ثولناي بقوله ان علي بك اتفد السرية الاولى سنة ١٧٧٠م والثانية سنة ١٧٧١م ومنها ان ظاهرا وعلي بك هما اللذان خابرا الدولة الروسية لارسال اسطولها الى الثغور الشامية مع ان عبارة ثولناي تدل على ان الاسطول المذكور كان في البحر المتوسط فلما علم بثورة ظاهر على الدولة جاء ميناء حيفا لاختذ المؤونة منها حين كانت جنود والي الشام واحلافه تحاصر صيداء فاستاجرها ظاهر بستمئة كيس لاسعافه على رفع الحصار فكان منها ما كان وهذه الرواية اقرب الى الواقع لانه لو كانت الدولة الروسية تقصد نجدة العصاة على الدولة لما اقتضى اسطولها منهم اجرة عملهم والحال انا رأينا الاسطول بتقاتل الاجور في كل حركة يبديها بايعاز ظاهر . ومنها ان عثمان باشا المصري كان قد تعين واليا على الشام مع انه يظهر

من اسماء ولاية الشام المدرجة في سلطنة ولاية سورية ان صادق عثمان باشا تولّى من سنة ١١٧٤ الى سنة ١١٨٤ وخلفه محمد باشا العظم وليس عثمان باشا المصري

ومما روى قولناي من اعمال ظاهر ان بعضاً من المخلصين في طاعة الدولة العلية سيفي يافا ونابلس قتلوا من طاعته حين بلغهم ان نصيره علي بك المصري هارب من وجه ابي الذهب وقادم اليه وان عسكر الدولة تحشد في حلب للزحف عليه وشاع هذا القول بين القوم حتى حسبوا ان ظاهر لا يبرح عكا خوفاً عليها ونياً هم يظنون كذلك خرج ظاهر برجاله صوب نابلس فلقى الخارجيين عليه فيها وضر بهم وتكلم بهم واقتر الامور في نصابها ثم سار من هناك فالتقى بعلي بك ووجهه به آمناً الى عكا اما يافا فانه امهلها حتى قضى امر صيداء فعاد اليها في صحبة علي بك واحطاً عليها تحصرت حصاراً شديداً سنة ١٧٧٢ ثم عاد الى عكا يدبر شوئونها تاركاً علي بك على امرة الحاصرين فظل عليها ثمانية شهور الى سنة ١٧٧٣ حين ملكها ونظّم شوئونها وجعل عليها مسلماً يحكمها باسم ظاهر العمر ثم عاد عنها الى عكا

وحدث في خلال ذلك ان ابا الذهب احتال على علي بك بان دس اليه ان يعود الى مصر فيلتي خيراً فاعتز علي بك بذلك وسعى الى الرجوع في كل سبيل وكان الروس قد وعدوه بالنجدة فما لبث حتى تجيء اليه الشرذمة التي ارصدها لمرافقته بل الح علي ظاهر بالذهب فارسل معه الفاً وخمسمائة من فرسانه تحت امرة ابيه عثمان فلما وصلوا به الى غزة غدر بعلي بك فقتل مع جماعة من رجاله وفر الباقون فأسقط ظاهر في يده لمصرع حليفه القوي وحاك ذلك في نفسه ولكن ما لبث ان فرجت كربة بما روينا من التجاء الامير يوسف الشهابي الى مودته على اخذ بيروت من الجزائر

وكأني بالدولة العلية رأت انها اذا عفت عن ظاهر العمر عاد الى طاعتها فاراح ولائها من حربه ولهذا كتب عثمان باشا الى الامير يوسف الشهابي يعالنه بصدور الامر السلطاني بالعمو عن ظاهر اجابة لاسترحام الوالي وان الدولة العلية قد انصمت عليه فوق ذلك بولاية صيداء على وجه المالكين على ان يؤدي خمسمائة الف درهم عن بقايا المال المتراكم عليه ومشي الف مسانحة عداً عن خدمة الجردة . فعظم وقع هذا الخبر على الامير يوسف لما فيه من الامر بطاعة ظاهر العمر ولكنه لم يبد اعتراضاً على مواده حرصاً على مودته

وفي سنة ١٨٨٨ اورد الفرمان العالي صحبة قبي من باب الدولة مؤذناً باحالة ولاية صيداء لعهدة الشيخ ظاهر فطابت نفسه بهذه الولاية لثبوت حكمه على صيداء وعكا وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس وبلاد اربد ومغد والمتاوله ولان رسوخ قدمه في حكمها كان من اناني نفسه

غير ان في خلال ذلك عرض البر النخب لباب الدولة عما يعلم من امر ظاهر العمر وعلي بك وافشى اسرارها واستأذن الدولة العلية في الحملة على الشام وكبت ظاهر وتوهم فوتمت عريضة ابي الذهب من الدولة موقع القبول سيما لان العفر عن ظاهر كان في عهد السلطان مصطفى فلما توفي الى رحمة ربه وتبرأ الاربيكة اخوه السلطان عبد الحميد الاول اجاز لابي الذهب الحملة على الشام للاقتصاص من ظاهر العمر جزاء اتفاهه مع علي بك وخروجهما على الدولة  
جرجي بني

## الراديوم ومزاياه

اشرفنا في باب الاخبار العلية في الجزء الماضي الى خطبة السر ولهم كروكس التي تلاها في الجمعية الملكية بيلاد الانكليز واطهر فيها بعض مزايا الراديوم . وقد رأينا ان تلخص تلك الخطبة الآن لانه سيكون لهذا النصر شأن كبير بين مكتشفات القرن العشرين فيليق بقراءه المقتطف ان لا تنوتهم فائدة نتعلق به . قال الخطيب :

جُفِّفَ قليل من مذوّب ملح الراديوم ( النترات ) وترك حتى تبلور ووُضِعَ في غرفة مظلمة فانار بنور ضعيف . ثم أُدْفِي من لوح مدهون بيلاتينوسيانيد الباريوم فانار اللوح بنور باهر ضارب الى الخضرة وكان نوره يزيد بتقريب الملح منه ويقل بتبعيده عنه الى ان يزول تماما . ويحدث مثل ذلك اذا ادفي ملح الراديوم من لوح مدهون بكبريتيد التوتيا ويبقى النور على اللوح مدة بعد ابعاد الملح عنه . والالية التي وضع فيها ملح الراديوم ثم اخرج منها اذا ادتبت من لوح مدهون بيلاتينوسيانيد الباريوم او بكبريتيد التوتيا تجعله ينير ولو كانت قد غسّلت جيدا بعد اخراج الراديوم منها ( كأنه يبقى فيها منه شيء قليل جدا لا يزول بالفسل وهو كاف ليعمل فعل الراديوم باللوح ) . واللوح المدهون بكبريتيد التوتيا ينير اذا خُمش بكين او ضرب برأسها او برأس قلم كأنه مدهون بمادة فصفورية

واذا ادفي حجر ماس من ملح الراديوم انار نورا ضاربا الى الخضرة والزرقة واذا اُبعد عن الملح انطفأ نوره حالا لكنه اذا وُضِعَ حينئذ على اللوح المار ذكره يبقى على اللوح هنيئة بعد ابعاد الماس عنه . وانتق ان حجر الماس لمس ملح الراديوم ثم وُضِعَ على اللوح فتطير الشرر من اللوح . ونظر الى الشرر بالميكروسكوب في غرفة مظلمة فاذا في كل شرارة مركز مظلم وحوله هالة منيرة وينبعث من المركز المظلم اشعة منيرة تنتشر في كل الجهات فيظهر في اللوح حول